التأويل 10

الشّقشقة العقلانية عند المعتزلة،

والشطحات الخرقاء لدى المتصوفة.

1) المعتزلة وتأويل القرآن

ألف المعتزلي جار الله، محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (467 هـ - 538 هـ) كتاباً في التفسير سماه: "الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل، في وجوه التأويل"، بلغ به ذرى في موضوعه، لن يتجاوزها أحد من المعتزلة بعده، وإن لم يسلم بدوره، من المآخذ التي أخذت على المعتزلة عامة!.

وهو المحذور الذي سيحاول العمل على تلافيه وتخليص "النغمة الاعتزالية" منه، أبو العباس، ناصر الدين، أحمد بن محمد بن منصور الشهير بابن منير السكندري المصري (620 هـ -683 هـ) في كتاب: "الانتصاف من صاحب الكشاف".

وقد برز من الجانب الغربي للعالم الإسلامي معاصر للزمخشري، وعلى طرفي نقيض منه في المذهب والمنهج، وهو المالكي: أبو محمد، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الغرناطي، الشهير بابن عطية (481 هـ - 542 هـ) بتفسيره الذي اشتهر عند الناس ب "المحرّر الوجيز"، ولخص صاحب كشف الظنون المقارنة بينهما من حيث المادة:

{بأن ابن عطية أجمع وأخلص، والزمخشري ألخص وأغوص!}

وهذا لا يعطي فكرة عن مواطن الخلافات المذهبية بين الكتابين.

ثم جاء أبو حامد الغزالي (ت: 505 هـ)، وكان قد تتلمذ على يد إمام الحرمين، أبي المعالي، عبد الملك بن أبي عبد الله الجويني الشافعي (419 هـ - 478 هـ) الذي كان أول من حاول مزج منطق أرسطو بالفقه، فتأثر به الغزالي وزاد عليه، مما عرضهما معاً إلى النقد الشديد من طرف علماء محققين أفذاذ من كل المذاهب الفقهية الإسلامية من أمثال:

(1) تقي الدين ابن تيميه الحنبلي (ت: 621 هـ)، (2) وأبي إسحاق، محمود بن احمد بن عبد العزيز بن عمر البخاري المرغيناني الحنفي (551 هـ - 616 هـ)، (3) وأبي الوفاء، علي بن عقيل بن محمد البغدادي الظفري الحنبلي (431 هـ - 513 هـ)، (4) وأبي بكر، محمد بن الوليد بن محمد بن خلف الفهري الطرشوشي المالكي (451 هـ - 520 هـ)، (5) وأبي عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري الصقلي المالكي (453 هـ - 536 هـ)، (6) وأبي عمر، عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري الدمشقي، المعروف: بابن الصلاح الشافعي (577 هـ - 643 هـ)[1]، (7) وأبي زكريا، يحيى بن شرف الحزامي الحوراني النووي الشافعي (631 هـ - 677 هـ) وغيرهم.

وألف الغزالي: "جواهر القرآن"، قسم فيه علوم القرآن إلى قسمين:

1) علم الصدف والقشر!، وأدخل فيه علم القراءات، وعلم التجويد ومخارج الحروف، وعلوم اللغة، والنحو وعلم التفسير الظاهر: أي المأثور، ورتبها قرباً وبعداً عن القشر واللب، كطبقات البصَل!،
2) علم اللباب!: وأدرج فيه: العلم بالله وباليوم الآخر، ومعرفة قصص القرآن، والعلم بالصراط المستقيم وبالسلوك، وعلم الكلام، وعلم الفقه وأصوله.

وقد ملأه بشوارد من الطّوام، ومن ضعاف الأحاديث والأخبار، وعوالق الذاكرة التي عادة ما تخونه من جهة مصادرها، على عادته في كتابه "إحياء علوم الدين"، بما ليس عليه مزيد! مع قبس من غرائب التأويلات

[1] صاحب الفتوى الشهيرة في منع الاشتغال بالفلسفة والمنطق لمثل هذه المحاذير والتي جاء فيها: {المنطق مدخل الفلسفة ومدخل الشر، وليس الاشتغال بتعليمه وتعلمه مما أباحه الشارع ولا استباحه أحد من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين والسلف الصالحين وسائر من يقتدى به}. أنظر: ابن الصلاح: "فتاوى ابن الصلاح في التفسير والحديث والأصول والعقائد" ص. 43، طبع القاهرة 1348 هـ/1929 م. وبالرغم من التجاوب مع هذه الفتوى في كل العالم الإسلامي، إلا أنها لن تكون شافية بقدر رسالة ابن تيمية في: "نقض المنطق".

وضروب من التخريجات، قلما يكون لها ارتباط بالموضوع المناقش وأبعد ما تكون نُجعة عن المتبادر مـــن النصوص!.

ولا تسأل عن المبرر لتقسيمته الثنوية أعلاه، وهو المُولع، على عادة عصره، بفلي رأس الأصلع، وتقسيم مناطقه البارزة والخفية إلى ما لا يتناهى من الأجزاء والفروع، بحثاً عما ليس هناك، ولا كيف: أجاز لنفسه تقسيم علوم القرآن إلى قشر ولباب ؟! ولا في أن يدرج علم الكلام، وهو في غالبه وكما تطور تاريخياً، سفسطة محضة ضمن اللباب، وعلم التفسير، الذي هو ألصق بالقرآن من غيره، والأعمق غوراً، ضمن القشور!؟

ولنوضح كل هذه الهفوات بأمثلة ملموسة من أحد نصوصه، التي يقرأها القارئ عادة دون أن يعير كبير اهتمام لما يكتنفها من غموض، وفي ضربه للأمثلة، التي غالباً ما تكون بعد إمعان النظر فيه، أقرب إلى دس السم الرعاف في العسل، من دون تنبه القارئ العادي لذلك، والذي يظل مأخوذاً بسحر أسلوبه المنمق وشقشقته المشوقة، ليشنفه دون أن يشعر، ومن دون سابق إنذار طامة من طوامه، لا يتطلبها المقام ولا سياق النص!

فقد كتب في: الفصل الثالث من "جواهر القرآن" في شرح مقاصد القرآن[2] في تعريف طريق السلوك إلى الله تعالى:

وذلك بالتبتل كما قال الله تعالى {وتبتل إليه تبتيلا} أي انقطع إليه والانقطاع إليه يكون بالإقبال عليه والإعراض عن غيره وترجمته قوله لا اله إلا هو فاتخذه وكيلا والإقبال عليه إنما يكون بملازمة الذكر والإعراض عن غيره يكون بمخالفة الهوى والتنقي عن كدورات الدنيا وتزكية القلب عنها والفلاح نتيجتها كما قال الله تعالى قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى
فعمدة الطريق أمران الملازمة والمخالفة الملازمة لذكر الله تعالى والمخالفة لما يشغل عن الله وهذا هو السفر الى الله وليس في هذا السفر حركة لا من جانب المسافر ولا من جانب المسافر إليه فأنهما معا أوما سمعت قوله تعالى وهو أصدق القائلين: "ونحن أقرب إليه من حبل الوريد"
بل مثل الطالب والمطلوب مثل صورة حاضرة مع مرآة ولكن ليست تتجلى في المرآة لصدأ في وجه المرآة فمتى صقلتها تجلت فيه الصورة لا بارتحال الصورة إلى المرآة ولا بحركة المرآة إلى الصورة ولكن بزوال الحجاب فان الله تعالى متجل بذاته لا يختفي إذ يستحيل اختفاء النور وبالنور يظهر كل خفاء والله نور السموات والأرض وإنما خفاء النور عن الحدقة لأحد أمرين إما لكدورة في الحدقة وإما لضعف فيها إذ لا تطيق احتمال النور العظيم الباهر كما لا يطيق نور الشمس أبصار الخفافيش فما عليك إلا أن تنقي عن عين القلب كدورته وتقوي حدقته فإذا هو فيه كالصورة في المرآة حتى إذا غافصك في تجليه فيها بادرت وقلت انه فيه وقد تدرع باللاهوت ناسوتي الى أن يثبتك الله بالقول الثابت فتعرف أن الصورة ليست في المرآة بل تجلت لها ولو حلت فيها لما تصور أن تتجلى صورة واحدة بمرايا كثيرة في حالة واحدة بل كانت إذا حلت في مرآة ارتحلت عن غيرها وهيهات فانه يتجلى لجملة من العارفين دفعة واحدة نعم يتجلى في بعض المرايا أصح وأظهر وأقوم وأوضح وفي بعضها أخفى وأميل الى الاعوجاج عن الاستقامة وذلك بحسب صفاء المرآة وصقالتها وصحة استدارتها واستقامة بسط وجهها فلذلك قال:

إن الله تعالى يتجلى للناس عامة ولأبي بكر خاصة!!!!!!!!!!!!!!.

قلت:ويكتنف هذا النص الظاهر البراءة كل تلك العوارض الغامضة والشاردة التي قدمنا مثل:

1) ـ التشبيه ب "**المرآة المجلوة**": وهي من عوالق ما رسخ في ذهن أبي حامد مما سمع في مجالسه أو عن مشايخه من مثال شائع الاستعمال لدى المسيحيين بالذات.

---

[2] : القسم الثاني.

ذلك أن هذه الصورة المجازية في رؤية الله من خلال مرآة صقيلة أو مجلوة نجد أول مُتمثل بها القديس بولس، حين مثل رُؤية الله في دنيانا الآن " فقط من خلال مرآة مغبشة وغير صقيلة" بخلاف اللقاء المستقبلي مَعه، وجهاً لوجه، حيث ستكون المرآة صقيلة ومجلوة كما عبر عن ذلك مرتين:

أ) "رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس" من العهد الجديد"، الإصحاح الثالث عشر (13: 12):

" فإننا ننظر الآن في مرآة في لغز لكن حينئذ وجها لوجه: الآن اعرف بعض المعرفة: لكن حينئذ سأعرف كما عرفت"[3]

ب) "رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس" من العهد الجديد"، الإصحاح الثالث (3: 18):

و نحن جميعا ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغير الى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح.

حتى أن هذا المثال لا زال شائع الاستعمال لدى المسيحيين وإلى اليوم، كما يبين عنوان الكتاب الملحق

هنا.

2) - **ونجد** مثالاً للتشنيف بما لا يتطلبه المقام ولا سياق النص فيما ختم به نصه هنا، حيث خص أبا بكر رضي الله عنه بهذه الخاصية، من دون سائر الخلق، دون أن يشفع لكلامه بنص نقلي صحيح إلى المعصوم صلوات الله عليه.

3) – ومن نماذج **استشهاداته بالحديث الموضوع** قوله في نفس الفصل:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

إن لله أرضا بيضاء[4] مسيرة الشمس فيها ثلاثون يوما مثل أيام الدنيا ثلاثين مرة مشحونة خلقا لا يعلمون أن الله تعالى يعصي في الأرض ولا يعلمون أن الله تعالى خلق آدم وإبليس رواه ابن عباس رضي الله عنه.

وهو خبر موضوع.

بل ما أكثر الأخبار الموضوعة التي ملأ بها الغزالي مؤلفاته، شأنه في ذلك شأن كل المتصوفة قديماً وحديثاً ومن دون استثناء،

وهو يقول فيما يخص "اللباب" بعد أن ذكر القشور في نظره:

وبالجملة يشتمل كتاب "الإحياء"[5] على أربعين كتابا يرشدك!!!!! كل كتاب الى عقبة من عقبات النفس وأنها كيف تقطع والى حجاب من حجبها وأنه كيف يرفع وهذا العلم فوق علم الفقه والكلام وما قبله.

---

[3] النص العربي كالعادة أتعس من الإنجليزي، لأن المسيحيين العرب ينقلون عنهم فتأتي الترجمة ركيكة وصعبة الفهم في أحايين كثيرة قارن مع نص النسخة الأمريكية المعيارية لسنة **1901** (American Standard Version 1901)

For now we see in a mirror, darkly; but then face to face: now I know in part; but then shall I know fully even as also I was fully known.

[4] *الأرض البيضاء: التي لا شجر فيها.*

[5] يشير إلى مؤلفه "إحياء علوم الدين"

قلت: ولا تحل قراءة هذا الكتاب من دون تخريج الحافظ زين الدين، أبي الفضل: عبد الرحيم بن الحسين العراقي لأخباره في كتابه: "المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في "الإحياء" من الأخبار"[6]، وإن كان هذا التخريج ذاته قاصر من جهة الصلابة المنهجية.

وليت البلية في الاشتغال بالأخبار الضعيفة والموضوعة توقفت مع الغزالي رحمه الله واقتصرت عليه، خصوصاً بعد النقد الذي وجه إليه فيه، بل انتقلت العدوى إلى كل التقليديين الذين يقرؤون كتبه، آخذين بغثها وبسمينها، بينما الحكمة كانت تقتضي ألا يأخذوا سوى بأحسنها. وهو ما لا يعدم في كتب الغزالي رحمه الله.

وكمثال من هذا النوع من الغفلة في المعاصرين المحسوبين على السنة، ما جاء في موقع **الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله الجبرين**[7] وهو يشرح خارج زمانه ومكانه وفي مضيعة لعمره وعمر طلابه، الذي سيحاسب عليه، كتاباً لا يحتوي سوى على بالموضوعات والواهيات بين دفتيه وهو: "**كتاب العظمة**" لأبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني (274 هـ - 369 هـ)، الباب (35): "**ملاحظة الله تعالى جل ذكره خلقه حين فراغه من خلقهم**"، حيث أورد أبو الشيخ هذا الخبر تحت رقم 958[8]، واعتمده الشيخ ، مع أن الخبر باطل من سياقه وموضوع.

قال أبو الشيخ:

حدثنا أحمد {بن جعفر} بن نصر الحمال {شيخ لأبي الشيخ لم يترجم له في تاريخه} قال: حدثنا حميد بن زنجويه {النسائي (ت: 251 هـ) وهو ثقة} قال: حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار {بن نصير المرادي المصري (ت: 219 هـ) وهو صدوق} قال: حدثنا **مسلمة بن علي** {**بن خَلَف الخُشني أبوسعيد الدمشقي البلاطي (ت: قبل 190 هـ) وهو واه متروك**} عن عبد الرحمن الخراساني عن **مقاتل بن حيان** {أبو بسطام البلخي الخراز (ت: حوالي 150 هـ) وهو صدوق} عن محمد بن كعب {بن سليم بن أسد أبو حمزة المدني} القرظي {(ت: 117 هـ) وهو ثقة} عن **أبي هريرة** {الصحابي (ت: 57 هـ)} -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:

إن لله تعالى أرضا من وراء أرضكم هذه بيضاء نورها وبياضها مسيرة شمسكم هذه أربعين يوما!

- قالوا: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم - يعني مثل الدنيا أربعين مرة فيها عباد لله تعالى لم يعصوه طرفة عين،

- قالوا: يا رسول الله أمن الملائكة هم ؟

- قال: ما يعلمون أن الله خلق الملائكة ؟

---

[6] هو عادة ملحق كذيل في طبعة دار الكتب العلمية من ست مجلدات

[7] www.ibn-jebreen.com/book.php?cat=7&book=81&toc=5474&page=4907&subid=29243 - 66k -

[8] بتحقيق مصطفى عاشور ومجدي السيد إبرا هلم، مكتبة القرآن القاهرة، بدون تاريخ، ص. 394.

- قالوا: يا رسول الله أفمن ولد آدم هم ؟
- قال: ما يعلمون أن الله-عز وجل- خلق آدم!
- قالوا: يا رسول الله أفمن ولد إبليس هم؟
- قال: ما يعلمون أن الله-عز وجل- خلق إبليس!،
- قالوا: يا رسول الله فمن هم؟
- قال: هم قوم يقال لهم الروحانيون خلقهم الله-عز وجل- من ضوء نوره!!!!!!!!!!!!!!!!

والخبر باطل متناً لأنه لا أرض من وراء أرضنا، وآفة الخبر الوضاع الهالك: مسلمة بن علي.

وقد أورد أبو الشيخ ذات الخبر لكن منقطعا عن بعض!!!!! أئمة الكوفة، تحت رقم: 961.

قلت: فغالب ما يؤخذ على أبي حامد رحمه الله من هفوات، عدا ما يحصل لكل متصوف شغوف بجمع النوادر والغرائب من باب الإغراب على قرائه، إنما تأتى من هذه البضاعة المزجاة في الحديث النبوي الشريف، حيث يستشهد بمثل هذه الأباطيل في سياق استدلالاته فتفسد عليه منطقه وتوهن حجته، بينما لو لم يعرج عليها أصلاً لسلم تخريجه من شينها ولكانت حجته أنصع وفائدتها أكبر.

ولأخذ فكرة عن مفهوم "التأويل" عند أبي حامد فلا بأس من تتبع كلامه فيه في كتابه:"فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة ".

فقد عقد فصلاً تحت عنوان: "المرتاب الخمسة وأمثلتها في التأويل" جاء فيه:

اسمع الآن أمثلة هذه الدرجات في التأويلات:

أما الوجود الذاتي: فلا يحتاج إلى مثال، وهو الذي يجري على الظاهر، ولا يتؤول، وهو الوجود المطلق الحقيقي. وذلك كإخبار الرسول صلى الله عليه وسلم عن: العرش، والكرسي، والسموات السبع.

فإنه يجري على ظاهره، ولا يؤول، إذ هذه أجسام موجودة في نفسها، أدركت بالحس والخيال أم لم تدرك.

وأما الوجود الحسي: فأمثلته في التأويلات كثيرة، وأكتفي منها بمثالين:

أحدهما: قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (*يؤتى بالموت يوم القيامة فى صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار*).فإن من قام عنده البرهان على أن الموت عرض، أو (عدم عَرَض).وأن قلب العرض جسماً، مستحيل غير مقدور، ينزل الخبر على أن أهل القيامة يشاهدون ذلك ويعتقدون أنه الموت، ويكون ذلك موجوداً في حسهم، لا في الخارج، ويكون سبباً لحصول اليقين باليأس من الموت، بعد ذلك، إذ المذبوح ميئوس منه.

ومن لم يقم عنده هذا البرهان، فعساه يعتقد أن نفس الموت ينقلب كبشاً في ذاته ويذبح.

المثال الثاني: قول رسول الله صلى الله عليه وسلم.(*عرضت على الجنة فى عرض هذا الحائط*).فمن قام عنده البرهان على أن الأجسام لا تتداخل، وأن الصغير لا يسع الكبير، حمل ذلك على أن نفس الجنة لم تنتقل إلى الحائط، لكن تمثل للحس صورتها في الحائط، حتى كأنه يشاهدها.

وقد عنون فصله السادس: "ضرورة التأويل مفروضة على جميع الفرق"

وكتب تحته:

اعلم أن كل من نزل قولاً من أقوال صاحب الشرع على درجة من هذه الدرجات، فهو من المصدقين.وإنما التكذيب أن ينفي جميع هذه المعاني، ويزعم أن ما قاله لا معنى له، وإنما هو مكذب محض، وغرضه فيما قاله التلبيس، أو مصلحة الدنيا.

وذلك هو الكفر المحض، والزندقة.

ولا يلزم كفر **المؤولين** ما داموا يلازمون قانون التأويل كما سنشير إليه.

وكيف يلزم الكفر بالتأويل، وما من فريق من أهل الإسلام إلا وهو مضطر إليه.

فأبعد الناس عن التأويل أحمد بن حنبل رحمة الله عليه.

وأبعد التأويلات عن الحقيقة وأغربها أن تجعل الكلام مجازاً، أو استعارة، وهو الوجود العقلي، والوجود الشبهي. والحنبلي مضطر إليه وقائل به، فقد سمعت الثقات من أئمة الحنابلة ببغداد يقولون إن أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى صرح بتأويل ثلاثة أحاديث فقط.

أحدها: قول صلى الله عليه وسلم: (**الحجر الأسود يمين الله في الأرض**).

والثاني: قوله صلى الله عليه وسلم: (**قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن**).

والثالث: قوله صلى الله عليه وسلم: (**إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن**).

فانظر الآن كيف أول هذا ؟ حيث قام البرهان عنده على استحالة ظاهره فيقول: اليمين تقبل في العادة تقرباً إلى صاحبها، والحجر الأسود يقبل أيضاً تقرباً إلى الله تعالى فهو مثل اليمين، لا في ذاته، ولا في صفات ذاته، ولكن في عارض من عوارضه، فسمي لذلك يميناً.وهذا هو الوجود الذي سميناه الوجود الشبهي، وهو أبعد جوه التأويل.

فانظر كيف اضطر إليه أبعد الناس عن التأويل.

وكذلك لما استحال عنده وجود الإصبعين لله تعالى، حساً، إذ من فتش عن صدره، لم يشاهد فيه إصبعين، فتأوله !!!!!على روح الإصبعين، وهي الإصبع العقلية الروحانية.أعني أن روح الإصبع ما به يتيسر تقليب الأشياء.وقلب الإنسان بين لمة الملك، ولمة الشيطان، وبهما يقلب الله تعالى القلوب، فكنى بالإصبعين عنهما.

وإنما اقتصر أحمد بن حنبل رضي الله عنه على تأويل هذه الأحاديث الثلاثة، لأنه لم تظهر عنده الاستحالة إلا في هذا القدر، لأنه لم يكن ممعناً في النظر العقلي، ولو أمعن لظهر له ذلك في الاختصاص بجهة فوق وغيره، مما لم يتأوله.

– والأشعري والمعتزلي لزيادة بحثهما تجاوزا **إلى تأويل ظواهر كثيرة.**

– وأقرب الناس إلى الحنابلة في أمور الآخرة، الأشعرية وفقهم الله، **فإنهم قرروا فيهـا أكثـر الظـواهر إلا يسيراً**.

– والمعتزلة أشد منهم توغلاً في التأويلات، وهم مع هذا ــ أعني الأشعرية ــ يضطرون أيضاً إلى **تأويل** أمور، كما ذكرناه من قوله: (**إنه يؤتى بالموت في صورة كبش أملح**).وكما ورد في وزن الأعمال بالميزان، فإن الأشعري **أول** وزن الأعمال فقال: توزن صحائف الأعمال، ويخلق الله فيها أوزاناً بقدر درجات الأعمال.

وهذا رد إلى الوجود الشبهي البعيد؛ فإن الصحائف أجسام كتبت فيها رقوم تدل بالاصطلاح على أعمـال هـي أعراض.فليس الموزون إذن العمل، بل محل نقش يدل بالاصطلاح على العمل.

والمعتزلي **تأول** نفس الميزان وجعله كناية عن سبب، به ينكشف لكل واحد مقدار عمله، وهو أبعد عن التعسف في **التأويل** بوزن الصحائف.

وليس الغرض تصحيح أحد التأويلين، بل أن تعلم أن كل فريق، وإن بالغ في ملازمة الظواهر فهو مضطر إلى التأويل، إلا أن يجاوز الحد في الغباوة والتجاهل، فيقول: الحجر الأسود يمين تحقيقاً.والموت وإن كان عرضاً يستحيل فينتقل كبشاً بطريق الانقلاب. والأعمال، وإن كانت أعراضاً، وقد عدمت، فينتقل إلى الميزان، ويكون فيها أعراض هيا الثقل. ومن ينتهي إلى هذا الحد من الجهل، فقد انخلع من ربقة العقل.

ثم عقد الفصل السابع من كتابه تحت عنوان: *شرط التأويل ، البرهان القاطع*، **جاء فيه:**

فاسمع الآن **قانون التأويل**، فقد علمت اتفاق الفرق على هذه الدرجات الخمس، في التأويل، وأن شيئاً مـن ذلك ليس من حيز التكذيب.

واتفقوا أيضاً على أن جواز ذلك موقوف على قيام البرهان على استحالة الظاهر. والظاهر الأول هو الوجـود الذاتي، فإنه إذا ثبت تضمن الجميع، فإن تعذر فالوجود الحسي، فإنه ثبت تضمن ما بعده، فإن تعذر فالوجود الخيالي، أو العقلي، وإن تعذر فالوجود الشبهي المجازي.

ولا رخصة للعدول عن درجة إلى ما دونها إلا بضرورة البرهان، فيرجع الاختلاف على التحقيق إلى البراهين.

إذ يقول الحنبلي: **لا برهان على استحالة اختصاص الباري بجهة فوق.**

ويقول الأشعري: **لا برهان على استحالة الرؤية.**

وكأن كل واحد لا يرضى بما ذكره الخصم، ولا يراه دليلاً قاطعاً.

وكيفما كان فلا ينبغي أن يكفر كل فريق خصمه، بأن يراه غالطاً في البرهان، نعم يجوز أن يـسميه ضـالاً أو مبتدعاً:

أما ضالاً، فمن حيث إنه ضل عن الطريق عنده.

وأما مبتدعاً، فمن حيث إنه ابتدع قولاً لم يعهد من السلف الصالح التصريح به، إذ المشهور فيما بين السلف أن الله تعالى يرى.فقول القائل لا يرى بدعة. وتصريحه **بتأويل الرؤية بدعة**، بل إن ظهر عنده أن تلك الرؤية معناها مشاهدة القلب، فينبغي أن لا يظهره ولا يذكره، لأن السلف لم يذكروه. لكن عند هذا يقول الحنبلي: إثبات الفوق لله تعالى مشهور عند السلف، ولم يذكر أحد منهم أن خالق العالم ليس متصلاً بالعالم ولا منفصلاً، ولا داخلاً ولا خارجاً.

وأن الجهات الست خالية عنه، وأن نسبة جهة فوق إليه كنسبة جهة تحت، فهذا قول بدع، إذ البدعة عبارة عن أحداث مقالة غير مأثورة عن السلف.

وعن هذا يتضح لك أن هاهنا مقامين:

أحدهما: مقام عوام الخلق.والحق فيه الاتباع، والكف عن تغيير الظاهر رأساً، والحذر من إبداع التصريح بتأويل لم تصرح به الصحابة، وحسم باب السؤال رأساً، والزجر عن الخوض في الكلام، والبحث، واتباع ما تشابه من الكتاب والسنة.

كما روي عن عمر رضي الله عنه أنه سأله سائل عن آيتين متعارضتين، فعلاه بالدرة.

وكما روى عن مالك، رحمه الله، **أنه سئل عن الاستواء؟**،

فقال: (**الاستواء معلوم، والإيمان به واجب، والكيفية مجهولة، والسؤال عنه بدعة**).

المقام الثاني: بين النظار الذي اضطربت عقائدهم المأثورة المروية، فينبغي أن يكون بحثهم بقدر الضرورة، وتركهم الظاهر **بضرورة البرهان القاطع**، ولا ينبغي أن يكفر بعضهم بعضاً بأن يراه غالطاً فيما يعتقده برهاناً؛ فإن ذلك ليس أمراً هيناً سهل المدرك وليكن للبرهان بينهم قانون متفق عليه، يعترف كلهم به، فإنهم إذا لم يتفقوا في الميزان لم يمكنهم رفع الخلاف بالوزن، وقد ذكرنا الموازين الخمسة في كتاب (القسطاس المستقيم)

وهي التي لا يتصور الخلاف فيها بعد فهمها أصلاً!!!!!!!، بل يعترف كل من فهمها بأنها مدارك اليقين قطعاً!!!!!!.

والمحصلون لها يسهل عليهم عقد الإنصاف والانتصاف!!!!!!!!!!!!!، وكشف الغطاء ورفع الاختلاف!!!!!!!!!!!!!، ولكن لا يستحيل منهم الاختلاف أيضاً!!!!!!!!!!!:

أ) إما لقصور بعضهم عن إدراك تمام شروطه!!!!!.

2) وإما في رجوعهم إلى محض القريحة والطبع، دون الوزن بالميزان!!!!!!!!!، كالذي يرجع بعد تمام تعلم العَروض في الشعر، إلى الذوق، لاستثقاله عرض كل شعر على العروض، لا يبعد أن يغلط. وإما لاختلافهم في العلوم التي هي مقدمات البراهين، فإن من العلوم التي هي أصول البراهين، تجريبية وتواترية، وغيرها.

والناس يختلفون في التجربة والتواتر، فقد يتواتر عند واحد ما لا يتواتر عند غيره، وقد يتولى تجربة ما لا يتولاه غيره. وإما لالتباس قضايا الوهم بقضايا العقل. وإما لالتباس الكلمات المشهورة المحمودة، بالضروريات، والأوليات، كما فصلنا ذلك في كتاب (محك النظر). ولكن بالجملة إذا حصلوا تلك الموازين وحققوها، أمكنهم الوقوف عند ترك العناد على مواقع الغلط على يسر.

قلت: **لاحظ التناقض البين هنا بين قوله القاطع:**

وهي التي لا يتصور الخلاف فيها بعد فهمها أصلاً!!!!!!!، بل يعترف كل من فهمها بأنها مدارك اليقين قطعاً!!!!!!.

وبين قوله:

ولكن لا يستحيل منهم الاختلاف أيضاً!!!!!!!!!!:

للسببين الذين ذكرهما، واللذان لا ينفكان عن أحد الفرقاء أو عنهم جميعاً!

وقد عنون فصله الثامن: "تأويل أصول العقائد بدون برهان قاطع يؤدي إلى التكفير" وجاء تحته:

من الناس من يبادر إلى **التأويل بغلبات الظنون من غير برهان قاطع**، ولا ينبغي أن يبادر أيضاً إلى كفره، في كل مقام، بل ينظر إليه، فإن كان **تأويله** في أمر لا يتعلق بأصول العقائد ومهماتها، فلا نكفره، وذلك **كقول بعض الصوفية:**

إن المراد برؤية الخليل عليه السلام الكوكب والقمر والشمس، وقوله: (هذا ربي) غير ظاهرها، بل هي جواهر نورانية ملكية!!!!!!، ونورانيتها عقلية لا حسية!!!!!!!، ولها درجات في الكمال ونسبة ما بينها في التفاوت، كنسبة الكوكب والقمر والشمس.

قلت:

وهذا تخريج يندرج ضمن الخرصيات والأوهام، اللاتي لا برهان للصوفية عليها، اللهم ما كان من الدعوى بغير دليل! وليس هو من المتبادر في اللغة، ولا أنه يشبه من قريب أو بعيد دلالة "التأويل" بالمعنى القرآني الذي من خواصه الأساسية:

القطع في نفس الأمر، والوقوف عند مدلوله بعينه، يؤول إليه في آخر المطاف ويرجع ولا تتعداه إلى غيره، أو مدلوله الآخر، كما في: "تأويل الأحاديث"، بالمعنى القرآني أيضاً، بمعنى تحققها في الواقع العياني.

ويتبين من خلال هذه النصوص أن "التأويل" المقصود عند الغزالي ينسحب إلى النقل والتحويل والصرف عن المعنى اللغوي الظاهر المتبادر من السياق إلى معاني أخرى يفهمها القارئ، قد تكون محتملة بل حتى مستحيلة!.

ومن هنا، فيؤخذ على "تأويل" الغزالي رحمه الله، ما يؤخذ على تأويلات غيره، من كونها جميعها مشوشة على الدلالة التي يفيدها "التأويل" القرآني، بمعنى المآل النهائي للأمور وما سوف تستقر عليه في آخر المطاف بدلالة قطعية.

قلت:

وقد وجد خبر الأرض البيضاء الذي أورده الغزالي في نصه طريقه إلى الفرقة الجعفرية ليتلون بلون تلفيقاتها الأليفة.

فقد جاء في " بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ": (27 / 45 – 46)، لمحمد باقر بن محمد تقي الملقب بالمجلسي (1037 هـ - 1111 هـ)، باب 15 : أنهم (أي: أئمة الشيعة الإحدى عشر ÷ المهدي الأسطوري اللامنتظر) الحجة على جميع العوالم وجميع المخلوقات!!!!

5 - ير : محمد بن هارون[9] عن أبي يحيى الواسطي عن سهل بن زياد عن عجلان أبي صالح قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام[10] عن قبة آدم ، فقلت له : هذه قبة آدم ؟ فقال : نعم ، ولله قباب كثيرة ، أما إن خلف

[9] جاء في معجم رجال الحديث للخوئي في ترجمته تحت رقم: 11967محمد بن هارون :
روى عن أبي عبد الله عليه السلام، وروى عنه المفضّل بن صالح الاسدى. الكافي: الجزء 2، كتاب الدعاء 2، باب الصلاة على النبيّ محمد وأهل بيته عليهم السلام 20، الحديث 19.
وروى عن أبي يحيى الواسطي، وروى عنه أحمد بن محمد. الكافي: الجزء (7)، كتاب الحدود 3، باب الحدّ في اللواط 21، الحديث 11.
وروى عن أبي يحيى الواسطي أيضاً، وروى عنه محمد بن أحمد بن يحيى ابن عمران الاشعرى. الفقيه: الجزء (4)، باب ديّة

مغربكم هذا تسعة وثلاثين مغربا أرضا بيضاء مملوءة خلقا يستضيئون بنورنا، لم يعصوا الله طرفة عين ، لا يدرون أخلق الله آدم أم لم يخلقه يتبرؤون من فلان (يعني بذلك: أبأ بكر الصديق رضي الله عنه) وفلان (يعني بذلك: عمر بن الخطاب رضي الله عنه).
- قيل له : كيف هذا يتبرؤون من فلان وفلان وهم لا يدرون أخلق الله آدم أم لم يخلقه ؟
- فقال للسائل : أتعرف إبليس ؟
- قال : لا إلا بالخبر،
- قال : فأمرت باللعنة و البراءة منه ؟
- قال : نعم ،
- قال : فكذلك أمر هؤلاء!!!!!!!!!!!!!!!!!.

6 - خص ، ير : محمد بن عيسى عن يونس عن عبد الصمد عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام[11] قال : سمعته يقول : إن من وراء شمسكم هذه أربعين عين شمس !!!!!!، ما بين شمس إلى شمس أربعون عاما !!!!!، فيها خلق كثير ما يعلمون أن الله خلق آدم أو لم يخلقه، وإن من وراء قمركم هذا أربعين قمرا !!!!!!. مابين قمر إلى قمر مسيرة أربعين يوما!!!!!!.

فيها خلق كثير ما يعلمون أن الله خلق آدم أو لم يخلقه، قد ألهموا كما ألهمت النحل لعنة الاول (يعني أبا بكر) والثاني (يعني عمر) في كل وقت من الأوقات،

وقد وكل بهم ملائكة متى لم يلعنوهما عُذبوا!!!!!!!!!!!!!!!!!!

وأضاف المجلسي:

أقول: أوردنا كثيرا من الأخبار في ذلك في باب العوالم من "كتاب السماء والعالم"[12].

قلت: وهي ظلمات بعضها فوق بعض، تدل بمجرد تداول الجعفرية لأكثر وجوه هذا الخبر، أنه من جرابهم.

ثم لا حاجة بي هنا إلى إيراد أقوال أصحاب الرجال الجعفرية في هؤلاء الرواة، مادامت كلها أهوائية ومتأخرة، بالإضافة إلى كونها لا تقوم على أساس منهجي قويم، على ما عهدنا في رجالات السنة[13].

البيضتين، الحديث 386.
أقول: رواية الصدوق ما رواه محمد بن أحمد بن يحيى، عن محمد بن هارون، تنافي التزامه بعدم روايته رواية لم يصحّحها شيخه ابن الوليد، كما تقدّم في ترجمة محمد بن موسى الهمداني.
[10] هو جعفر الصادق (ت: 148 هـ)
[11] هو الباقر والد جعفر الصادق.
[12] ***السماء والعالم: كتاب لأرسطو ترجمه*** *إلى العربية يحيى بن البطريق. وأورده ابن سينا في "كتاب الشفاء"*
[13] *أنظر إلزامات الإخباري الجعفري محمد بن الحسن بن علي الحر العامليّ المشغرائي (1033هـ- 1104هـ) في "تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة" (المجلد 30، صفحتي 259 - 260) لأصوليي المذهب، وهي قائمة فعلاً، وعلى خلاف مقصوده، حيث يقول:*
أن الاصطلاح الجديد {يعني الاصطلاح الذي تبناه بعض الأصوليين الجعفريين المتأخرين في الحديث على غرار ما جرت به النقدية الحديثية لدى السنة} يستلزم تخطئة جميع الطائفة المحقة ، في زمن الأئمة ، وفي زمن الغيبة!!!! ، كما ذكره المحقق ، في أصوله ، حيث قال : أفرط قوم في العمل بخبر الواحد . إلى أن قال : واقتصر بعض عن هذا الإفراط ، فقالوا : كل سليم السند يعمل به . وما علم أن الكاذب قد يصدق ، ولم يتفطن أن ذلك طعن في علماء الشيعة ، وقدح في المذهب ، إذ لا مصنّف إلا وهو يعمل بخبر المجروح ، كما يعمل بخبر العدل . انتهى .ونحوه كلام الشيخ وغيره في عدة مواضع .

قلت:

: ومن نماذج **إيراد أبي حامد الغزالي لشواهد لا يحققها** ما أورد في: الفصل السادس من "جواهر القرآن" المعنون: **"في وجه التسمية بالألقاب التي لقب بها أقسام القرآن"** جاء فيه:

ورأى بعضهم: أنه كان في يده خاتم يختم به فروج النساء وأفواه الرجال
- **فقال له ابن سيرين[14]: أنت رجل تؤذن في رمضان قبل الصبح**
- **فقال نعم!!!!!!!!!!!!!**

ورأى آخر كأنه يصب الزيت في الزيتون
- **فقال له: إن كان تحتك جارية فهي أمك قد سبيت وبيعت واشتريتها أنت ولا تعرف!**

فكان كذلك!!!!!!!!!!

ثم علق الغزالي على ذلك بقوله:

فانظر ختم الأفواه والفروج بالخاتم مشاركا!!!!!!!!!!!! للأذان قبل الصبح في روح الخاتم وهو المنع وإن كان مخالفا في صورته وقس على ما ذكرته ما لم أذكره!!!!!!!

قلت: ما أبعد كل هذه التخرصات الراجمة بالغيب، التي هي أبعد ما تكون عن تفسير

الأحلام أي: بتأويل الأحاديث، التي أوتيها يوسف عليه السلام، عن التحقق، لمن تمعن في هذه النصوص وفي محيطها الاجتماعي! خصوصاً وقد قال هشام بن حسان[15]، وهو من أثبت الرواة عن ابن شيرين:

كان ابن سيرين يسأل عن مائة رؤيا، فلا يجيب فيها بشيء، إلا أنه يقول: اتق الله وأحسن في اليقظة، فإنه لا يضرك ما رأيت في النوم؛ وكان يجيب في خلال ذلك، ويقول:

الرابع عشر :
أنه يستلزم ضعف أكثر الأحاديث، التي قد علم نقلها من الأصول المجمع عليها ، لأجل ضعف بعض رواتها ، أو جهالتهم ، أو عدم توثيقهم ، فيكون تدوينها عبثا ، بل محرّما ، وشهادتهم بصحتها زورا وكذب . يلزم بطلان الإجماع ، الذي علم دخول المعصوم فيه ـ أيضا ـ كما تقدم . واللوازم باطلة ، وكذا الملزوم . بل يستلزم ضعف الأحاديث كلها ، عند التحقيق ، لأن الصحيح ـ عندهم: " ما رواه العدل، الإماميّ ، الضابط ، في جميع الطبقات" ولم ينصوا على عدالة أحد من الرواة ، إلا نادراً ، وإنما نصوا على التوثيق ، وهو لايستلزم العدالة ، قطعا ، بل بينهما عموم من وجه ، كم صرح به الشهيد الثاني ، وغيره. ودعوى بعض المتأخرين : أن « الثقة » بمعنى " العدل ، الضابط " ممنوعة ، وهو مطالب بدليلها . وكيف ؟ وهم مصرحون بخلافها ، حيث يوثقون من يعتقدون فسقه ، وكفره ، وفساد مذهبه ؟ ! وإنما المراد بالثقة : من يوثق بخبره ، ويؤمن منه الكذب عادة ، والتتبع شاهد به ، وقد صرح بذلك جماعة من المتقدمين ، والمتأخرين .
ومن معلوم ـ الذي لا ريب فيه ، عند منصف : أن الثقة تجامع الفسق ، بل الكفر . وأصحاب الاصطلاح الجديد قد اشترطوا ـ في الراوي ـ العدالة فيلزم من ذلك ضعف جميع أحاديثنا ، لعدم العلم بعدالة أحد منهم ؛ إلا نادرا . ففي إحداث هذا الاصطلاح غفلة ، من جهات متعددة ، كما ترى.
وقال في الوسائل (مجلد 30، صفحة 206):
ومثله يأتي في رواية الثقات ؛ الأجلاء ـ كأصحاب الإجماع ، ونحوهم ـ عن الضعفاء ، والكذابين ، والمجاهيل ، حيث يعلمون حالهم ، ويروون عنهم ، ويعملون بحديثهم ، ويشهدون بصحته!!!!!!

[14] هو أبو بكر: محمد بن سيرين البصري (ت: **110** هـ) التابعي. وينسب إليه كتاب: "تفسير الأحلام".

[15] *هشام بن حسان الأردي القردوسي أبو عبد الله البصري (ت: 147 هـ)، محدث ثقة، من أثبت الناس في ابن سيرين.*

إنما أجيب بالظن، والظن يخطئ ويصيب.

قلت: وقد قال تعالى:

وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ إِن يَتَّبِعُونَ **إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ** (116) الأنعام

وقال أيضاً:

وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنّاً **إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً** إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (36) يونس

الشاهد عندي على الحطابة الليلية لأبي حامد هنا، والمضللة عقائدياً لقرائه المحسنين الظن في تخريجاته، أن أبا زيد حنين بن إسحاق العبادي النصراني النسطوري (191 هـ/809 م –260 هـ/ 873 م) ترجم إلى اللغة العربية ثلاثة مجلدات من الكتب الخمسة في: "تعبير الرؤيا" **لأرطميدورس الأفسي *(Artemidorus Daldianus or Ephesius)* الذي عاش في القرن الثاني قبل الميلاد.**

ويقول أرطيميدورس هذا بأنه جمع مادّة كتابه مِنْ عرافين ومفسري أحلام صغار وكبار القدر، ذكر من بينهم ستّة عشرَ بالاسم، أثناء سفراتٍ طويلةٍ عبر اليونان وإيطاليا وآسيا.

وتعتمد طريقته في التأويل على التشابه، حتى أنه كتب في المجلد الثاني: تفسير (تأويل) الحلم هو "لا شيء آخر سوى تراص التشابهاتِ" (2.25).

لكن، وكسائر الأنواعَ الأخرى مِنْ التكهن اليوناني، ومن ضمنها التنجيم، والتكهن السماوي، والتكهن بواسطة رقاص (pallomancy)، فتأويل الحلم اليوناني (Oneiromancy) صار غاية في التعقيد وخضع لعدة تفسيرات تدخل فيها اعتباراتِ ثانويةٍ شتى، مثل العمر، والجنس، ومنزلةِ الحالمِ، وغيرها من الاعتبارات الأخرى.

وقد ركز أرطميدروس كإغريقي على معنى الأحلام التي تَتضمّنُ نكاح المحارم!!!! (عقدة أوديب).

وهو القائل:

"لم أعتمد على التخمين هنا!!!!!، ولا أني بَنيت نتائجي على نظام الاحتمالات!!!!. كتابتي مستندة على تجربةِ شخصيةِ. وقد لاحظتُ بنفسي في كُلّ مناسبة، كيف تحققت هذه الأحلام!!!."

وقال في الكتاب الأول الفقرة 31:

31: أحلام الأسنان تنفتح على العديد مِنْ التفسيراتِ المختلفةِ وقد عولجتْ بنجاح من قِبل قليل جداً مِنْ متأولي الأحلام الحديثين. وقد أعطانا أريستاندر التلميسوسي (Aristander Telmessus) العددَ الأكبر من التفسيراتِ الصحيحة!!!!!!!!!!!!. وهي كالتّالي:

تمثّلُ الأسنانُ العليا الأعضاء الأكثر أهميّة لعائلةِ الحالم؛ وتمثل الأسنان السفلية الأفراد الأقل شأناً. فيَتوجبُ أنْ نتأول الفمَّ كبيت والأسنان كساكنة بيت. . . . . .

39. يعبر الجانب الأيمنُ عن الرجالَ؛ والجانب الأيسر عن النِساء، ماعدا في تلك الحالاتِ النادرةِ التي تحصل لمراقب الباغيات، على سبيل المثال، حيث تجتمع عنده النساء فقط أو في حالة مزارع يؤوي الرجالَ فقط.

في هذه الحالاتِ، فإن الجانب الأيمنَ يؤول بكونه يشير إلى المسنين من الرجالَ والنِساءَ سواء؛ وبينما يتوجب تأويل الجانب الأيسر بمن هم أصغر سناً. وتؤول علاوة على ذلك، الأسنان القاطعةِ أو الأسنان الأماميةِ بالصغار؛ والأنياب، بالمتوسطي العمر؛ والأضراس بكبار السنّ. لذا فنوع الشخص الذي سيُفتقد (يموت) يُشارُ إليه بنوعِ السنِّ المفقودة.

لكن وبما أن الأسنانَ تعني الامتلاكَ بالإضافة إلى الناس، فيجبُ أنْ نَعتبرَ الأضراسَ كممثلة لكنوز؛ والأنياب، كأشياء بدون قيمة كبيرة؛ والقواطع، كأشياء منزلية.
لذا فمن المعقولُ جداً أن بعض الأسنان، عندما تسقط، فهي تشير إلى خسارة هذه الأملاك.

قلت:

لو نظر المرء بعين متفحصة وناقدة في نسخ الكتب المتداولة من "تفسير الأحلام"المنسوبة لابن سيرين (ت: 110 هـ)، وهي تختلف فيما بينها أشد الاختلاف، وكتاب "تعبير الرؤيا" لأرطميدورس الأفسي (الذي عاش في القرن الثاني قبل الميلاد ولم يترجم كتابه إلى اللغة العربية سوى في حدود منتصف القرن الثالث الهجري/منتصف القرن التاسع الميلادي) بخصوص الأسنان مثلاً، لوجدهما يتفقان تماماً في وجوه التفسير، مما يشكك في صحة ما نسب إلى ابن سيرين في ذلك، ويُجزم بكونه من إضافات بعض المتأخرين.

ذلك أن الكتب المتداولة عن ابن سيرين تنسب إليه في شرح الأسنان في الحلم قوله:

فإنهم أهل بيت الرجل، فالعليا هم الرجال من أهل البيت و السفلى هم النساء، فالناب سيد بيته، و الثنية اليمنى الأب، و الثنية اليسرى العم و إن لم يكونا فأخوان و ابنان، فإذا لم يكن فصديقان شقيقان، و الرباعية ابن العم، والضواحك الأخوال والخالات، ومن يقوم مقامهم في النصح، والأضراس الأجداد، والبنون الصغار، والثنية السفلى اليمنى الأم، و اليسرى العمة. فإن لم يكونا فأختان أو ابنتان أو من يقوم مقامهما، والرباعية السفلى بنات العم و بنات العمات، والناب السفلى سيدة أهل بيتها، والضواحك السفلى بنات الخال والخالة. وأضراس السفل الأبعدون من أهل بيت الرجل، من النساء والبنات الصغار.

وحركة بعض الأسنان، دليل على من هو تأويله في المرض، وسقوطه و ضياعه دليل على موته أو غيبته غيبة من لا يعود إليه، فإن أصابه بعدما فقده فإنه يرجع. وتآكله دليل على بلاء يصيب من ينتسب إليه. و اصطكاك الأسنان دليل على جدال بين أهل بيته. فإن رأى في أسنانه قلحا (صفرة) فهو عيب بأهل بيته يرجع إليه، و نتن الأسنان قبح الثناء على أهل البيت، و كلال (ضعفها) الأسنان ضعف حال أهل بيته و تنقية الأسنان من القلوحة (صفرة) يدل على بذل المال في نفي الهموم عنهم، و بياض الأسنان و

طولها و جمالها، زيادة قوة و مال و جاه لأهل البيت، فإن رأى كأنه نبت مع ثنية مثلها، فإن أهل بيته يزيدون، فإن رأى كأن النابت معها يضرها، كأن الزائد في أهل البيت عارا و وبالا عليه فإن رأى كأنه قلع أسنانه، دلت رؤياه على قطع رحمه ، أو ينفق ماله على كره منه . فإن رأى كأنه يرمي أسنانه بلسانه، فسدت أمور أهل بيته بكلام يتكلم به.

فإن رأى كأن أسنانه من ذهب، فإن كان من أهل العلم و الكلام حمدت رؤياه، و إلا فلا تحمد، لأنها تدل في غير العلم و أهله، على مرض أو حريق، فإن رأى كأنها من فضة، دلت على خسران في المال. فإن رآها من زجاج أو خشب، دلت على الموت، فإن رأى مقادم أسنانه سقطت فنبتت مكانها أخرى، دلت على تغيير أموره و تدابيره

و قيل : أن من رأى أسنانه العليا سقطت في يده، فهو مال يصير إليه {قارن مع الفقرة 39 لأرطميدروس أعلاه}.

فإن رآها سقطت في حجره، فهو ابن، لقوله تعالى :(و يكلم الناس في المهد) آل عمران 46. يعني في الحجر. فإن رآها سقطت إلى الأرض، فهي الموت.

فإن رأى كأنه أمسك الساقط من أسنانه فلم يدفنه، فإنه يستفيد من هو مثله في الشفقة و النصيحة و كذلك التأويل في سائر الأعضاء إذا أصابتها آفة فلم يدفنها. فإن رأى أنه نبت في قلبه أسنان، دل على موته،

وقيل!!!!!: إن سقوط الأسنان يدل على عائق يعوق فيما يريده،

وقيل!!!!!: هو دليل قضاء الديون{قارن مع الفقرة 39 لأرطميدروس أعلاه}.

فإن رأى كأن جميع أسنانه سقطت وأخذها في كمه أو حجره، فإنه يعيش عيشا طويلا حتى تسقط أسنانه، و يكثر عدد أهل بيته، و إن رأى كأن جميع أسنانه سقطت و ذهبت عن بصره، فإن أهل بيته يموتون قبله، وربما كان ذلك موت ذوي سنه من الناس، وأقرانه في العمر، فإن رأى كأن الناس يلوكوه بأضراسهم أو يعضوه، فإنه يمكنه أن يتضع للناس فلا يتضع، وقيل: ينبغي أن يجعل الفم بمنزلة المنزل، والأسنان بمنزلة السكان، فما كان فيها من ناحية اليمنى فهو يدل على الذكور، وما كان من اليسرى فهو يدل على الإناث، في جميع الناس إلا قليلا منهم.

وقيل من رأى أسنانه تنكسر فإنه يقضي دينا قليلا قليلا. فإن تساقط أسنانه بلا وجع، يدل على أعمال تبطل. فإن رأى كأنها تسقط مع وجع، دل على ذهاب شيء مما في منزله، ومقاديم الأسنان إذا سقطت، م

قلت: قارن التشابه بين النصين، وخصوصاً في العبارات الواردة بصيغة الإحالة على مجهول:

"**وقيل**!!.

فالإحالة هنا لا تخطئك النبأ، **بعد أن وقفت على نص ارطميدروس ذي العلاقة**، أنه هو المقصود بدون جدال. وهو النص الذي لم يقف عليه ابن سيرين رحمه الله في عصره مادام لم يترجم سوى بعد وفاته بقرن وزيادة!

فالاحتمال الأقرب هو أن يكون القول مكذوباً ومفترى على ابن سيرين به[16]!، خصوصاً وأنه منذ حوالي ثلاث عقود استقر الأمر على أن كل نسخ الكتب المطبوع المنسوبة لابن سيرين كتب منتحلة، وبأن الكتاب الرائج في العالم الإسلامي كله: "منتخب الكلام في تفسير الأحلام"، هو للخليل الداري.

ولا شك أن أبا حامد اكتفى هنا بتقمص دور حاطب ليل، وهو يبحث عن اللب بين ركام كل هذه القشور!

2) شطحات التفسير الباطني عند المتصوفة

صنف المتصوف أبو عبد الرحمن، محمد بن الحسين السُّلمي (325 هـ - 412 هـ) تفسيراً سماه:_"حقائق! التفسير"[17]، وكان أولى به أن يُطلق عليه اسم: "أباطيل التفسير"، هذا زيادة على كون الرجل متهم بوضع الأحاديث للصوفية![18]

3) بعض هفوات التفسير العلمي عند الرازي

من التفاسير العلمية الأولى، تفسير: "مفاتيح الغيب" لأبي عبد الله، فخر الدين، محمد بن عمر بن الحسين التميمي البكري الطبرستاني، الشهير: بابن الخطيب الرازي (543 هـ - 606 هـ)، وكان قد تخرج في أول الطلب بالفلسفة الإغريقية، ثم ضم إليها علوم العربية، والفقه والأصول على مذهب الشافعي، وعلم الكلام. وقد أشاح عن منهجه في مقدمة تفسيره لسورة الفاتحة بقوله[19]:

---

[16] *هناك من شككوا في نسبة الكتب المتداولة في التعبير عن الرؤيا إلى ابن سيرين: أنظر بهذا الخصوص: ما كتبه فهد توفيق الموسوعة الإسلامية في:*

FAHD Toufic, (1971) "Ibn Sîrîn", Encyclopédie de l'Islam, Leyde, E.J. Brill, Paris G.-P. Maisonneuve et Larose, Nouvelle édition, T. III, p. 972.

ورسالة الدكتوراه لأمينة البلغيتي:"الحلم في المجتمع النسوي المغربي (1960 – 1980)" في:

Amina BELRHITI ك1982 , Le rêve dans la société féminine marocaine (1960-1980, Sorbonne, Paris, 1988 ; Tome II, p189-217.

[17] توجد منه عدة مخطوطات في مكتبة جامعة إسطنبول وغيرها أنظر: فؤاد سيزكين. "تاريخ التراث العربي"، المجلد الأول، الجزء الرابع: العقائد والتصوف" ص. 179، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1403 هـ/1983 م، الرياض.

[18] تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (2: 248).

[19] الفخر الرازي: "مفاتيح الغيب" (1: 223)

{اعلم أنه جرى على لساني في بعض الأوقات أن هذه السورة الكريمة – الفاتحة – يمكن أن يستنبط من فوائدها عشرة آلاف مسالة!، فاستبعد هذا بعض الحساد وقوم من أهل الجهل والغي والعناد، وحملوا ذلك على ما ألفوه من أنفسهم من التعلقات الفارغة عن المعاني، والكلمات الخالية عن تحقيق المعاقد والمباني. فلما شرعت في تصنيف هذا الكتاب قدمت هذه المقدمة لتصير كالتنبيه على أن ما ذكرناه أمر ممكن الحصول قريب الوصول}

ومن المآخذ على تفسيره ما ذهب إليه في **إثبات أن الأرض ساكنة! لا متحركة!**، من خلال استنتاجه لسكون الأرض، بناءاً على المنطوق المجازي الوارد في قوله تعالى:

{الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءاً..}[20]

قلت: وهو التفسير الذي تابعه عليه بعض مشايخ الحجاز الخارجين عن عصرهم، والذين عذر لهم في اقتفاء أثره، مع أن العلم المعاصر تجاوز بكثير معارف الرازي وعصره.

وهو ما كان قد دفعنا، بعد أن استبد المشايخ بأرائهم الفاسدة التي لا نور على منطقها للجهل بالرواية والدراية معاً، واستفحال عوار الفتوى وعدم اقتناع أصحابها بالتراجع عنها إلى تأليف كتيب في الرد عليهم {أنظر كتابنا: "كيف يرد الخطأ على المفتين المعاصرين الكبار رواية ودراية لعدم إلمامهم بالعلم: الشيخ ابن باز والشيخ العثيمين 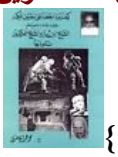 نموذجاً"}

وليس من الصعب الوقوف على منطق الرازي الذي أوقعه في مثل هذه المزالق غير الصادقة ولا متحققة.

فهو يقول[21]:

{إن الدلائل القطعية العقلية إذا قامت على ثبوت شيء، ثم وجدنا أدلة نقلية يُشعر ظاهرها بخلاف ذلك فهنالك لا يخلو الحال من أحد أمور أربعة:

– إما أن يصْدُقَ مقتضى العقل والنقل، فيلزم تصديق النقيضين وهو محال،
– وإما أن يبطُل فيلزم تكذيب النقيضين وهو محال،

[20] سورة البقرة، الآية 22.
[21] الفخر الرازي: "أساس التقديس"، بعناية أحمد حجازي السقا، ص. 220، ": 1406 هـ/1986 م، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

– وإما أن تصدق الظواهر النقلية وتكذب الظواهر العقلية، وذلك باطل!!!!!!!!، لأنــه لا يمكننــا أن نعــرف صحة الظواهر النقلية، إلا إذا عرفنا بالدلائل العقلية إثبات الصانع وصفاته، وكيفية دلالــة المعجــزة علــى صدق الرسول ﷺ وظهور المعجزات على يد محمد ﷺ.

– ولو جوزنا القدح في الدلائل العقلية القطعية صار العقل متهماً غير مقبول القول. ولو كان كذلك لخرج أن يكون مقبول القول في هذه الأصول. وإذا لم تثبت هذه الأصول، خرجت الدلائل النقلية من كونهــا مفيــدة، فثبت أن القدح لتصحيح النقل يُفضي إلى القدح في العقل والنقل معاً وأنه باطل.

ولما بطلت الأقسام الأربعة لم يبق إلا أن يقطع بمقتضى الدلائل العقلية القاطعة بأن هذه الدلائل النقلية إما أن يقال: إنها غير صحيحة، أو يقال: إنها صحيحة إلا أن المراد منها غير ظواهرها!!!!!.

ثم إذا جوزنا "التأويل" واشتغلنا على سبيل التبرع بذكر تلك "التأويلات" على التفصيل، وإن لم نجز "التأويل" فوضنا العلم بها إلى الله تعالى.

فهذا هو "القانون الكلي" المرجوع إليه في جميع المتشابهات وبالله التوفيق}

وهو بالحرف تلخيص لمنهج الغزالي في رسالة "قانون التأويل"!.

فإشكال الرازي رحمه الله وكل العقلانيين المحسوبين على الإسلام، كمن بالأساس في فرضية:

إمكان حصول تعارض بين النقل والعقل،

وهو أمر ممتنع قطعاً.

لذلك وجدناهم ينطلقون، بناء على هذه الفرضية غير المتحققة ً في الواقع، في تأويل كــل مــا لا يتفق مع أصولهم رجماً بعقولهم خارج حدودها!.

والمثال الذي أوردناه عليه في محاولته إثبات "سكون الأرض!" يوضح هذا المنحى بجلاء، حيث لم يخنه صحيح النقل هنا، بقدر ما خانه صريح العقل المتفلت من عقاله!.

فالرازي في المثال السابق أخطأ في "الدليل" و"المدلول" حسب تصنيف ابن تيمية.[22]

[22] ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير"، ص. 82، بعناية د/ عدنان زَرزور، ط. اولى: 1391 هـ/1971 م، دار الكتب العلمية بيروت.

ونجده يخطئ كذلك في تفسير قوله تعالى:

{فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم}[23]،

لذات الأسباب والعوارض حيث وجدناه يقول[24]:

{اعلم أن القرآن هاهنا قد دل على وجود سبع سماوات وقال أصحاب الهيئة: "أقربها إلينا كُرة القمر وفوقها عطارد، ثم الزُّهَرة، ثم الشمس، ثم المريخ، ثم المشتري، ثم زُحل"...واعلم أن أصحاب الأرصاد وأرباب الهيئة زعموا أن الأفلاك تسعة!. فالسبعة هي هذه التي ذكرناها!، والثامن هو الذي حصلت هذه الكواكب الثابتة فيه، وأما الفلك التاسع فهو الفلك الأعظم، وهو يتحرك في كل يوم وليلة دورة واحدة بالتقريب}

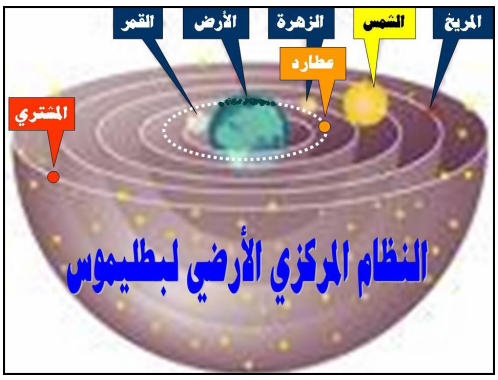

قلت: وهو نظام الفلكي كلوديوس بطليموس (ما بعد: 83 م - 161 م) (Κλαύδιος Πτολεμαῖος) (Claudius Ptolemaeus) الخاطئ الذي كان يتخذ من الأرض مركزاً بدل الشمس، ولا يتعدى حدود المجموعة الشمسية (الصورة)!

[23] سورة البقرة، الآية 28.
[24] الفخر الرازي: "مفاتيح الغيب" (1: 260)، الطبعة الشرقية

وبعد أن ناقش الفخر الرازي تخرصات علماء الهيئة فيما ذهبوا إليه بخصوص الفلكَيْن الزائـــدين: الثامن والتاسع قال:

{فإن قال قائل: فهل يدل التنصيص على سبع سماوات، على نفي العدد الزائد؟
قلنا: الحق!!! أن تخصيص العدد بالذكر لا يدل على نفي الزائد!!!}

وهكذا محا بآخر كلامه أوله!.

والمآخذ على هذا التخريج من وجوه:

أولا: العدد "سبعة"، بصفته عدداً، فهو محكم، لا يحتمل الصرف إلى غيره:

﴿ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات﴾[25]،

﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾[26]،

﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً﴾[27]..إلخ.

ثانياً: السموات الواردة في القرآن لها خواص الفلزية مـــن ســـمك وصـــلابة وقابليـــة للانفطـــار والانشقاق والطّي والانصهار:

﴿يكاد السموات يتفطرن منه﴾[28]،

﴿يوم تشّقّق السماء بالغمام﴾[29]،

﴿بناها رفع سمكها فسواها﴾[30]،

﴿وفتحت السماء فكانت أبواباً﴾[31]،

---

[25] سورة البقرة، الآية 29.
[26] سورة المؤمنون، الآية 17.
[27] سورة نوح، الآية 15.
[28] سورة مريم، الآية 90.
[29] سورة الفرقان، الآية 25.
[30] سورة النازعات، الآيتان 27 و28.
[31] سورة النبأ، الآية 19.

﴿يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب﴾[32]،

﴿فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان﴾[33]..إلخ.

فهذه الأوصاف تمنع بتاتاً تنزيل "السموات" الوارد وصفها الدقيق في النص القرآني، على ما عرف الإغريق من أمر الكواكب السيارة وسباحتها في أفلاكها! التي تخيّلوها أكـراً فـي الفـضاء! فـي النظـام البطليموسي!.

وكما ألمحنا من قبل، فالخطأ، إنما تأتى من الثقة المفرطة في العقل!، الذي انخدع هنـا، فـاعتبر منطوق الآية: معرفة يقينية قطعية، بينما ظاهرها واضح كل الوضوح، في كونها وردت في سـياق مجـاز وليس على الحقيقة. فهي من المتشابهات وليست من المحكمات، حتى يُحكم بقطْعيتها فيبنى عليها.

وقد فند ابن تيمية رحمه الله نتاج هذا الذي يسمّونه:

"قانون التأويل الكلي العربي"!،

الذي ادعاه العقلانيون المحسوبين على الإسلام، من فلاسفة ومعتزلة فـي كتابـه: "درء تعارض العقل والنقل"[34] . وقد تقدم من خلال عرضنا التاريخي، أنه قانون يوناني النشأة والمحتوى واللحـم والـدم والعظم، ومتطلب قديم وأصيل في "التاويلية اليونانية" التي نسبوها كما مـرّ بنـا لـشخص خرافـي هـو الرجيومي!.

---

[32] سورة الأنبياء، الآية 103.
[33] سورة الرحمن، الآية 37.
[34] وانظر كتبه الأخرى كذلك: "موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول"، و"العقل والنقل"، و"الرد على المنطقيين" و"نقض المنطق"

أما من حيث تشغيل المنهج عملياً بأمثلة واقعية، في عدم إمكان تعارض النقل مع العقل، وإثمارية هذا المنهج، فقد أوضحناه في مؤلفين من مؤلفاتنا.[35]

لكن، وبالرغم من أخطاء الرازي الكثيرة والقاتلة، إلا أنه يمكن اعتباره أول من أشار بعمله هـذا إلى "التفسير العلمي للقرآن"، باستعمال معارف زمنه، حتى وإن خذله المنهج!.

4) التفسير الأخرق عند الزركشي

ولن يرتفع قدر هذه المباحث، عند من جاءوا بعد الرازي وحذوا حذوه رحمهم الله أجمعين، كما سنجد عند بدر الدين، أبي عبد اللـه، محمد بن بهادر الزركشي المنهاجي التركي المصري (745 هـ - 794 هـ) في تفسيره: "البرهان في علوم القرآن" الذي سيخلط فيه ما بين إشارات المتصوفة، وحساب الجمل كما استعمله اليهود والمسيحيون في "التأويل الأخرق" على ما مر بنا، حيث يقول:

{وقد استنبط الناس زلزلة عام اثنين وسبعمائة من قوله تعالى: ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ [36]. إن الألف باثنين والذال بسبعمائة!. وكذلك استنبط بعض أئمة العرب فتح بيت المقدس من أيدي العدو، من أول سورة الروم! بحسب الجمّل!!!!!، وغير ذلك!!!!!}[37]

قلت: وكلها تخريفات أوهى من خيوط العنكبوت.

5) التفسير التلفيقي عند البيضاوي والآلوسي

وسيلفق أبو الخير، ناصر الدين، عبد اللـه بن عمر بن علي البيضاوي الشيرازي الشافعي (ت: 685 هـ) في تفسيره: "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" ما بين كتاب الزمخشري "الكشاف"، الذي أخذ منه الإعراب

---

[35] أنظر: "كيف يرد الخطأ على المفتن الكبار رواية ودراية لعدم إلمامهم بالعلم: الشيخ ابن باز والشيخ العثيمين نموذجاً"، و"الأجوبة المونتريالية".

[36] سورة الزلزلة، الآية 1.

[37] الزركشي: "البرهان في علوم القرآن" (2: 181)، ط. أولى: 1379 هـ/1957 م، بعناية محمد أبي الفضل، دار إحياء الكتب العربية، مصر.

والمعاني والبيان، وكتاب الفخر الرازي: "مفاتيح الغيب"، والذي سيجتهد المحشون في تحشيته ما وسعهم الجهد!، حتى أن حاجي خليفة سيذكر له في كتابه "كشف الظنون" أكثر من خمسين حاشية وتعليق!.

ولن تضيف القرون التالية جديداً، لأن نبض الأمة كان قد توقف منذ دهر، ولم يعد بمقدور علمائه سوى التحشية على الحواشي والتعليق على التعاليق!.

فهذا كان دأب:

1) أبي عبد الله، محمد بن محمد: ابن عرفة الورغمي المالكي التونسي (ت: 803 هـ) في تفسيره[38].

2) وأبي السعود العَمادي (898 هـ - 982 هـ) في: "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" وجمع فيه بين "الكشاف" و"أنوار التنزيل".

قلت:

وإلى هذه الفترة كان التفسير الصوفي قد طغى على الساحة الإسلامية كلها، كعلامة ملازمة لهذه الحقبة الانحطاطية القاتلة فظهر تفسير: "روح المعاني" للشهاب الآلوسي البغدادي (ت: 1270 هـ)، الذي ألفه رداً على تفاسير الشيعة وأهداه للسلطان عبد المجيد في الأستانة سنة 1267 هـ. فاستقبل بحفاوة بالغة ووزع تفسيره في كل حواضر البلاد التابعة للعثمانيين. فلبى رغبة أكيدة في التصوف والدّرْوشة لدى الحاكم والمحكومين سواء!.

انتهى

[38] يروى تفسيره بثلاث روايات مغاربية: الأولى لتلميذه الجزائري: أبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد البسيلي ت 830 هـ) وهو تفسيران: كبير وصغير. والكبير مطبوع تحت عنوان" التقييد الكبير في تفسير القرآن المجيد" (إلى غاية آل عمران فقط) ، بعناية وتحقيق الدكتور عبد الله بن مطلق الطوالة، والصغير حمل عنوان: "النكت والتنبيهات في تفسير القرآن المجيد" ويعرف ب "النكت والتنبيهات الصغرى"، وقد حققه محمد الطبراني لنيل درجة دكتوراه من دار الحديث الحسنية بالرباط. والرواية الثانية هي لتلميذه التونسي محمد الأبي: وهي موجودة كاملة في دار الكتب الوطنية بتونس وأخرى في سفرين ويتخللها بتر بالخزانة الملكية بالرباط. وقد حقق الدكتور حسن المناعي جزئين منها وهي رسالته العلمية بالزيتونة وقد طبعه في جزئين، وهو شامل لسورة الفاتحة والبقرة فقط، والرواية الثالثة هي للمغربي: الشريف أبي القاسم السلاوي. وقد عثر الدكتور الطبراني على جزء صالح منها، بعد أن كان في عداد المفقود.

ويليه الجزء 11:

التأويل الأخرق المؤسطر والمخرف لدى الشيعة